سلسلة دروس علم الدّين الضّروريّ



الدّرس3: معرفة الله

إعداد محمّد الزّيّــاني

1441 هـ - 2019 م

الجامع الكبير بساقية الزّيت

أهمّيّةُ معرفةِ الله

معرفة الله أوّلُ ما يجبُ على الإنسان

أوّلُ ما يـجِبُ على العبد العِلْمُ بالله و رسُولِه و دينه (عن الإمام الأشعريّ رحمه الله)

من لا يعرفُ ربَّهُ فإنّه يعْبُدُ شيئًا توهَّـمَهُ (أي يعبُدُ شيئًا غير الله)

فمن ظنّ أنّ إلَـهَهُ ذو شكلٍ أو حجْمٍ أو جسدٍ أو صُورةٍ أو أنّهُ ضوءٌ أو نورٌ أو نسبَ له ما لا يليقُ بالله كالولد أو النّقص أو العجز أو أيّ وصفٍ من أوصاف الخلق فإنّه ما عرف اللهَ الواحد الأحد و لا يكون قد عبدهُ

لا تَـصِحُّ العبادةُ إلاّ بَعْدَ معرفةِ المعبود (عن الإمام الغزالي رحمه الله)

كيف نعرفُ الله ؟

معرفتُــنا بالله ليسَــــت بِمَعْرِفَـةِ حقيــقته،

لأنّ حقيــقةَ الله لا يعلمُها إلاّ اللهُ

معرفة الله لا تكونُ بمعرفة ذاته (أي حقيقته)
بل تكون بمعرفة **صفاته**

العِلْمُ بالصّفة عِـلْـمٌ بالموصوف
و الجهلُ بالصّفة جهلٌ بالموصوف

لا فكرة في الرّبّ

قال رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم:

لا فِكْرَةَ في الرَّبِّ

رواه السّيوطي في تفسيره

معناها : معرفة الله **لا تُطْلَبُ بالتصوّر** لأنّ اللهَ تعالى خالقُ كُلِّ شيْءٍ، فلا يُشْبِهُ شَيْئًا مِنَ العُلْوِيّات ومِنَ السُّفْلِيَّاتِ، ولا يُوصَفُ بأوصاف الخلْق كالشّكل واللّون والتغيّر والجهل والمكان والحدّ والجهة والعجز وسائر صفات الخلق.

مهما تصوّرتَ ببالك فاللهُ بخلاف ذلك

(عن الإمامين أحمد بن حنبل وذي النون المصري رحمهما الله)

لا فكرة في الرّبّ

قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم:

تَفَكَّرُوا في خَلْقِ الله و لا تَفَكَّرُوا في ذاتِ الله

رواه الحافظُ البيهقيُّ عن الصّحابيّ ابن عبّاس رضي الله عنه

العَجْزُ عن دَرَك الإدْراك إدراكُ
والبحْثُ عن ذاتِه كُفْرٌ و إشْراكُ
(عن الصّحابيّ أبي بكر الصّدّيق رضي الله عنه)

الحمد لله الذي لم يجعَلْ للخَلْقِ سبيلاً إلى معرفته إلاّ بالعجز عن معرفته
(عن الصّحابيّ أبي بكر الصّدّيق رضي الله عنه)

قال الإمامُ الجُنيدُ رحمه الله «وهذه أشْرَفُ كلمةٍ في التّوحيد»

لا تشبيه و لا تعطيل

قال الإمامُ محمّد بنُ ادريس الشّافعيّ (تـ204 هـ) رحمه الله

من انتهض لِمَعْـرِفَةِ مُدبِّرِه

فانتهى إلى موجودٍ ينتهي إليه فِكرُهُ فهو **مُشَبِّهٌ**

ومَن انْتَهَى إلى العَدَمِ الصِّرْفِ فهو **مُعَطِّلٌ**

ومن انتهى إلى موجودٍ واعترف بعجزه عن إدراكه فهو **مُوَحِّدٌ**

غاية المعرفة بالله

قال الإمامُ أحمد الرّفاعيّ الكبير (تـ578 هـ) رحمه الله

غايةُ المعرفة بالله الإيقانُ بوجوده تعالى بلا كيفٍ و لا مكانٍ

- معناها : أقصى ما يصِلُ إليه العبدُ من المعرفة بالله الإيقانُ (أي الاعتقادُ الجازِمُ الذي لا شكّ فيه) بوجود الله تعالى بلا كيف و لا مكان ولا جهة

من اكتــفى بأن يعتــقدَ جــازِمًا أنَّ اللهَ موجــودٌ لا يُشبهُ الموجودات، موجودٌ بلا كيفيّةٍ ولا مكانٍ، اقتصر على هذا، وقَنِعَ ورضي بذلك هذا يُقال عنه : **عرَف الله**

اللهُ ليس محدودًا

المحدود: هو ما له حجمٌ صغيرًا كان أو كبيرًا

و الحجمُ إمّا أن يكون **كثيفًا** كالإنسان و الشجر

أو **لطيفًا** كالنّور و الظّلام

والله **مُنَزَّهٌ** عن الجسميّة و ليس محدودا، فالمحدود محتاجٌ إلى من حَدَّهُ و **المحتاجُ لا يكون إلاهاً**

قال الإمام عليّ رضي الله عنه

من زعم أن إلاَهَنَا محدودٌ فقد جهِل الخالقَ المعبود

رواه أبو نُعيْم الأصبهاني في كتاب حلية الأولياء

معرفةُ الله بتنزيهه عن صفات المخلوقات

قال الله تعالى:

لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ

سورة الشورى– ءاية 11

- هذه أصرحُ ءايةٍ في تنزيه الله عن مشابهة خلقه
- وهي حاكمةٌ في المتشابه و هي المرجع و هي أمّ الكتاب

قال الشّيخ ابن الصّباغ (ت 612هـ) رحمهُ الله تعالى عن **التّوحيد**

إثباتُ الذّاتِ بنفي الجهة
و إثباتُ الصّفات بنفي التّشبيه

ءايات في تنزيه الله تعالى

قال اللهُ تعالى:

فَلَا تَضْرِبُوا لِلَّهِ الْأَمْثَالَ

سورة النحل –ءاية 74

قال اللهُ تعالى:

هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا

سورة مريم– ءاية 65

قال اللهُ تعالى:

وَلا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا

سورة طه– ءاية 110

قال اللهُ تعالى:

وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ

سورة الإخلاص– ءاية 4

أحاديث في تنزيه الله تعالى

قال عليه الصّلاة و السّلام:

كان اللهُ ولم يكن شيءٌ غيرُه

رواه البخاريّ

قال الإمام **البيهقيّ** « استدلّ بعض أصحابنا في **نفي المكان عنه**" أي عن الله عز وجل بِقَوْلِ النَبِيّ صَلَّى الله عليه وسلَّم:

أَنْتَ الظَّاهِرُ فَلَيْسَ فَوْقَكَ شَيْءٌ
وَأَنْتَ البَاطِنُ فَلَيْسَ دُونَكَ شَيْءٌ

رواه مسلم

وإذا لم يكن فوقه شيءٌ ولا دونه شيءٌ **لم يكن في مكان**»

(كتاب الأسماء والصفات)

أقوال العلماء في تنزيه الله تعالى

قال الإمام عليّ رضي الله عنه:

كان اللهُ ولا مكان وهو الآن على ما عليه كان

ذكره أبو منصور البغدادي في الفرْق بين الفِرَق

قال الإمامُ التّابعيُّ زينُ العابدين عليٌّ بنُ الحُسين بنِ عليّ رضي الله عنهم:

أنتَ اللهُ الذي لا يحويك مكان

ذكره محمّد مرتضى الزبيدي في إتحاف السادة المتقين

قال الإمامُ أبو حنيفة النّعمان رحمه اللهُ:

يُقال له كان الله تعالى ولا مكان قبل أن يخلق الخلق، وكان الله تعالى ولم يكن أين ولا خلْقٌ ولا شيء، وهو خالق كلّ شيء

الفقه الأبسط

أقوال العلماء في تنزيه الله تعالى

قال الإمام أبو جعفر الطحاوي الحنفي (تـ 321هـ) رضي الله عنه:

تعالى ـ أي اللهُ ـ عن الـحُدودِ والغاياتِ والأركانِ والأعضاءِ والأدواتِ ، لا تحويه الجهاتُ السِّتُّ كسائر المبتدَعات

العقيدة الطحاوية

وممّا أمر القائدُ صلاحُ الدّين الأيّوبيُّ (تـ 589 هـ) بتدريسه للكبار و الصّغار:

وَصَانِعُ العَـــالَمِ لاَ يَحْوِيـــهِ قُطْرٌ تَعَالَى اللهُ عَنْ تَشْبِيهِ
قَدْ كَان مَوْجُوداً وَلاَ مَكَانَا وَحُكْمُهُ الآنَ عَلَى مَا كَانَا
سُبْحَـــانَهُ جَلَّ عَنِ المَكَانِ وَعَزَّ عَنْ تَغَيُّرِ الزَّمَـــــانِ

العقيدة الصّلاحيّة

مِنْ تُرَاثِ الـمَدْرَسَةِ الزّيْتُونِيَّة في تنزيه الله تعالى

قال العلاَّمةُ مُحمَّدُ ميّارة المالكيُّ (تـ 1072 هـ):

أَجْمَعَ أَهْلُ الحَقِّ قَاطِبَةً على أنَّ الله تَعالى لا جِهَةَ له، فلا فوقَ له ولا تحتَ ولا يَمِينَ ولا شِمَالَ ولا أَمَامَ ولا خَلْفَ

كتاب الدُّرِّ الثمين والمورد المَعين شرح المرشد المُعين على الضروريِّ من علومِ الدِّين

قال الشّيخ العلاَّمةُ إبراهيمُ المارغني المالكيّ (تـ 1349 هـ):

وليس تعالى جِرْمًا، ولا يتّصف سُبحانه وتعالى بالحركة والسّكون ولا بالكِبَرِ والصّغر ولا بالطّول والقِصَرِ ولا بالقُرْب والبُعْد بالمِسافةِ ولا بغير ذلك من صِفات الحوادث

كتاب الشّذرات الذهبيّة

سُبحانَ ربّيَ الأعلى

سُبحانَ اللهِ:

تنزّهَ اللهُ عن كُلّ نقْصٍ و عجْزٍ
و عن مشابهةِ الخلق بأيّ وجهٍ من الوجوه

سُبحانَ ربّيَ الأعلى:

معناه سُبحان ربيّ الذي هو أعلى مِن كُلِّ شيْءٍ قَدْرًا ومَكانةً

ذكر الإمامُ القرطبي في تفسيره: «ووصفُه تعالى بالعلوّ والعظمة، لا بالأماكن والجهات والحدود، لأنها صفات الأجسام، وإنما ترفع الأيدي بالدعاء إلى السماء، لأنّ السّماءَ مَهْبِطُ الوحي، ومَنْزِلُ القطر، ومحلُّ القدس، ومعدنُ المطهَّرين من الملائكة، وإليها تُرْفَعُ أعمالُ العباد، وفوقها عرشُه وجنَّتُهُ، كما جعل الله الكعبة قِبلةً للدّعاء والصّلاة، ولأنّه خلق الأمكنة وهو غير محتاج إليها، وكان في أزله قبل خلق المكان والزمان ولا مكان له ولا زمان، وهو الآن على ما عليه كان»

من أسماء الله الحُسنى

القُدُّوسُ: المنزَّهُ عن الشريكِ والوَلَدِ وصفاتِ الخلقِ كالحاجةِ للمكانِ أو الزمانِ فهو خالقُهما وما سِواهُمَا، وهو تباركَ وتعالى المُنَزَّهُ عن النقائِص الطَّاهِرُ من العُيوبِ

السّلام: الذي سَلِمَ من كُلّ عيبٍ
فلا يوصَفُ بالظُّلمِ أو الوَلَدِيَّةِ أو الزَّوجِيَّةِ

العظيمُ: عظيمُ الشأنِ مُنَزَّهٌ عن صفاتِ الأجسامِ
فالله أعظمُ قدرًا من كلّ عظيمٍ

الكبيرُ: الجليلُ كبيرُ الشأنِ،
والله أكبرُ معناه أنَّ الله أكبرُ مِنْ كُلِّ شيْءٍ قدْرًا

معرفة الله وتوحيده في القرءان الكريم

سورة الإخلاص:

قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ *1* اللَّهُ الصَّمَدُ *2*
لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ *3* وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُؤًا أَحَدٌ *4*

أتى اليهودُ إلى النّبيّ صلّى الله عليه و سلّم فقالوا : **يا محمّد صف لنا ربّك الذي تَعْبُدُه** . فنزلت : قل هو الله أحد ..." ، إلى آخر السورة
قال رسولُ الله :

" **هذه صِفَةُ ربّي عزَّ وجلَّ** "

أخرجه البيهقيّ عن ابن عبّاس

من معاني سورة الإخلاص

قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ :	تنفي الكثرة و العدد أي اللهُ ليس جسمًا وليس له شريك في ذاته وصفاته و أفعاله وليس لأحدٍ صِفَةٌ كصفاتِهِ
الله الصّمد:	تنفي الاحتياج إلى أيّ أحد بل كُلٌّ ما سواه محتاجٌ إليه، فهو الذي يقصدهُ العبادُ عند الشدّةِ
لم يلد:	تنفي الزوجة و الولد، أي لا يجوزُ أن ينفصل منه شيءٌ
و لم يولد:	تنفي الأبوين و الجدّ أي لا يجوزُ أن ينفصل هو من شيءٌ
وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَد:	تنفي الشّبيه له و النظير و النّدّ أي لا يُشبه أحدا من مخلوقاته بوجه من الوجوه و لا يشبهه أحد

من فضائل سورة الإخلاص

من قرأ سورةَ الإخلاص له ثوابٌ **يُشْبِهُ** ثوابَ مَنْ قرأ ثُلُثَ القرءان

قال عليه الصّلاة و السّلام:

قُلْ هُوَ الله أحدٌ تعدل **ثُلُثَ** القرءان

رواه الطبراني والحاكم

قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم:

أَيَعْجِزُ أَحَدُكُمْ أَنْ يَقْرَأَ **ثُلُثَ** الْقُرْءانِ فِي لَيْلَةٍ

فَشَقَّ ذَلِكَ عَلَيْهِمْ وَقَالُوا: : أَيُّنَا يُطِيقُ ذَلِكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟

فقال:

اللَّهُ الْوَاحِدُ الصَّمَدُ **ثُلُثُ** الْقُرْءانِ.

رواه البخاري

ما معنى تعدل ثلث القرءان؟

قال الحافظ ابن حجر في شرح البخاري في باب **فَضْلِ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ**

(**ثلث القرءان**) حَمَلَهُ بعضُ العلماء على ظاهره فقال: هي ثلث باعتبار معاني القرءان، لأنّه **أحكامٌ وأخبارٌ وتوحيدٌ** وقد اشتملت هي على القِسْمِ الثالث فكانت ثُلُثًا بهذا الاعتبار، ويستأنسُ لهذا بما أخرجه أبو عبيدة من حديث أبي الدرداء قال «**جزّءَ النبيّ صلّى الله عليه وسلّم القرءانَ ثلاثةَ أجزاءٍ: فجعل «قل هو الله أحد» جُزءًا من أجزاء القرءان**»

ورد في شرح صحيح مسلم في باب فضل قل هو الله أحد، قال **المازري**:

معناه إنّ القرءان على **ثلاثة** أنحاء **قَصَصٌ وأحكامٌ وصفاتٌ لله تعالى**، وقل هو الله أحد متضمِّنَةٌ لِلصّفاتِ فهي ثلثٌ وجزءٌ من ثلاثة أجزاء